# العنف والمسكوت عنه في رو اية " أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج

**Violence and the** unspoken **in the novel "The Fingers of Lolita" by Wassini Al-Araj.**

**أحمد بوغرارة[1،*]، مسعود وقاد[2]**

[1] جامعة الوادي، (الجزائر)- ahmed-bougherara@univ-eloued.dz

[2] جامعة الوادي، (الجزائر)، الايميل - messaoud-ouggad@univ-eloued.dz

**تاريخ الإيداع**: 2025/05/11 **تاريخ المراجعة**: 2025/05/31 **تاريخ النشر**: 2025/07/01

**ملخص:**

حظي المسكوت عنه بأهميّة بالغة في الدّراسات النّقدية العربيّة والمعاصرة ، ونجد بأنّ النّص الرّوائي يضطر في الغالب إلى السكوت ، ويترك فراغات و فجوات، وذلك لوقوعه تحت حصار القيود، وسلطات قامعة كالدولة والإرهاب، وتحت سلطات الدّين والجنس والأعراف والتقاليد، و التي تتطلب جهدا وطاقة فاعلة من قبل القارئ لفك شفراتها وتأويلها. و يعدّ الروائي الجزائري " واسيني الأعرج " واحدا من الروائيين الذين اتخذوا المسكوت عنه كفضاء رمزي لتمرير رسائل معينّة خاصّة المقموع السيّاسي الذي يهيمن على نصوصه الروائية ويعود في رواية " أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج ليشتغل على موضوعة السيّاسة التي اتخذها الروائي محورا لمعظم أعماله الأدبيّة، والتي ارتبطت بتناولها من منظور جديد حيث تميّزت بامتلاكه حرية لمواجهة القضايا السيّاسية بجرأة فائقة، ويحاول الأعرج الحفر في تاريخ السّلطة ليكشف الجانب المظلم فيها، و يصيغ الموقف النقدي المعارض لها من خلال إحالته إلى مواضعَ العنف السّياسي، فكيف اشتغل " واسيني الأعرج"* على المقموع السيّاسي في الرّواية ؟ و هل عالجه من منظور فنّي جمالي؟

**الكلمات المفتاحية: المسكوت عنه، أصابع لوليتا، العنف ، واسيني الأعرج، النقدي المعارض، المنظور الجمالي.**

***Summary***

*The unspoken has gained great importance in Arab and contemporary critical studies. We find that the novel text is often forced to remain silent, leaving gaps and gaps, due to its being under the siege of restrictions and oppressive authorities such as the state and terrorism, and under the authorities of religion, gender, customs and traditions, which require effort and effective energy from the reader to decipher and interpret them. The Algerian novelist "Wasini Al-Araj" is one of the novelists who took the unspoken as a symbolic space to pass on certain messages, especially the political oppressor who dominates his novelistic texts. In the novel "Lolita's Fingers" by Wasini Al-Araj, he returns to work on the subject of politics, which the novelist took as the focus of most of his literary works, which were linked to dealing with it from a new perspective, as it was distinguished by his freedom to confront political issues with great boldness. Al-Araj tries to dig into the history of power to reveal the dark side of it He formulates the critical position opposing it by referring it to places of political violence, so how did Wasini Al-Araj* work on the political oppression in the novel? Did he treat it from an artistic and aesthetic perspective?*

***Keywords:*** *the unspoken, Lolita's fingers, Wassini Al-Araj, violence, critical opposition, aesthetic perspective.*

1- **تعريف المقموع أو المسكوت عنه:** إنّ المسكوت عنه، أو المغيب في الرواية العربية، يحتل أهمية بالغة في الدراسات النقدية العربية المعاصرة، ونجد أن النص الروائي يجد نفسه مضطرا في الغالب إلى السكوت، تاركا المزيد من الفراغات، التي تستلزم جهدا وطاقة فعالة من قبل القارئ والمتلقي لفك شفراته وتأويله لاستكشاف مدلولاته ومعانيه، وفهم الرسالة التي يحاول الروائي إيصالها. والمقصود بالمسكوت عنه " هو جملة المحظورات الأخلاقية، الدينية والسياسية التي يأتيها الأدباء في كتاباتهم، والمسكوت عنه بالطبيعة هو الخوض في مواضيع محظورة التداول والتناول أخلاقيا، دينيا ، وسياسيا، خاصة إذا ما تعرض إليها الكاتب صراحة وعبارة، لذلك نجده يتفادى اللغة التعبيرية المباشرة، التي قد تزج به في مخاطر ومحاذير المثقف في دول العالم الثالث. "[1]

و لا شكّ في أنّ معرفة عمليات التغييب والإقصاء، تعتبر إشكاليّة معقدّة وصعبة، ولكنّها في حقيقة الأمر، ترتبط بوقوع النص الروائي تحت سلسلة من القيود والضغوط، تجعله تحت سلطات قامعة " إذ يقع النص الروائي تحت تأثير سلطات الدولة، وتحت إرهاب الدولة الوطنية وأجهزتها القمعية، وتحت إرهاب، كما يقع تحت سلطات التراث واللغة والدين والجنس والأعراف والتقاليد الأدبية، والمؤثرات الثقافية الأجنبية."[2]

وقد سعت الرواية الجزائرية إلى كشف العنف السّياسي، من خلال فضح مناطق مظلمة، وشخصيات معنّفة، ومحطّات حرجة من تاريخ الجزائر، وهذا ما تجسّد في رواية أصابع لوليتا لواسيني الأعرج.

2- **تجلّي العنف السيّاسي في رواية " أصابع لوليتا ":**

**أ- الانقلاب العسكري في الجزائر عام 1965 م:**

في رواية "أصابع لوليتا" يتجلى انقلاب 19 جوان 1945 الذي قاده العقيد "هواري بومدين" ضد الرئيس "أحمد بن بلّة".

ويعالج الأعرج موضوعة السّلطة انطلاقا من وعيه العام بالحقيقة التاريخيّة " ويفسّر وعي الأديب وعيه التاريخيّ الذي يتحرك في حقل معين من الصّراع والنضال، وهو بهذا يشير من خلال وعيه العام، ولا ينعزل عنه أبدا بل إنه قائم فيه، أو لنقل إنّ هذا الوعي يتجدّد عندما يعالج موضوعا بأدوات معينة، فالكاتب لا ينتج الواقع روائيا انطلاقا من وعي مستقل متعال اسمه الوعي الروائي بل ينطلق من وعيه العام. "[3]

ويستعيد واسيني الأعرج أحداث الانقلاب العسكري، ولكن ليس من أجل استلهام التاريخ السيّاسي للتأريخ لوقائع حدثت؛ وإنّما لتقديم التاريخ بشكل إبداعي ومحاولة تقديم قراءة فنيّة أدبيّة واتخذ هذه الرّواية منبرا

لفضح تجاوزات السّلطة في مرحلة ما بعد الاستقلال، وتكالب المسؤولين على كرسي السّلطة، إضافة إلى ذلك الدّعاية لأفكاره الإيديولوجية والتي تجسّدت من خلال شخصية البطل يونس مارينا الكاتب المثقف والمتعاطف مع الرئيس بن بلّة والحركة اليسارية والمعارض لنظام "هواري بومدين" الاشتراكي.

وحاول واسيني انطلاقا من وعيه بالحقائق التاريخية إعادة إنتاج الواقع روائيّا، ولكنّه لا يستحضر التاريخ لإحيائه بل يقرأه قراءة أدبية ليعالج القضايا السياسية للراهن الجزائري، حيث نلمس توظيفه اللغة الأدبية المشبعة بالدلالات والإيحاءات وابتعاده عن اللغة التقريرية التسجيلية المرتبطة بالكتابة التاريخية، حيث أعاد الراوي سرد الأحداث التاريخية في قالب أدبي إبداعي وهذا ما يظهر في السياق الآتي : " مثل غيره، ظن يونس مارينا أن الدبابات التي نزلت في صباح 19 يونيو 1965 وأحاطت بالملعب لم تكن إلا مشهدا طارئا، الهدف من ورائه تصوير فيلم عن الثورة التي لم يمر على انتهائها إلا ثلاث سنوات، كانت الدبابات وهي تحتل ساحة الشهداء والإذاعة والتلفزيون والملعب الكبير الذي كان يتفرج فيه الرئيس بابانا مقابلة كرة قدم ضد البرازيل تبدو كأنها لعب منتظمة تنتظر من يحرّكها."[4]

فالراوي صاغ وقائع الانقلاب العسكري في صوغ حكائي إبداعي حتى يثير القارئ بهذه القراءة الأدبيّة الجماليّة، ويخرجه من جو أحداث التاريخ السيّاسي الرتيبة.

و يرمي واسيني الأعرج من خلال تقديم قراءته الإبداعيّة للتاريخ السيّاسي إلى طرح القضايا السيّاسيّة المتصّلة براهن الجزائر وحاضرها محاولا عرض إشكالاتها، فهو يحاول تعرية المستور وكشف واقع الجزائر السياسي، حيث يتصارع المسؤولون على كرسي السّلطة رغم فشلهم السياسي دون اعتبار لمكانة الجزائر وتاريخها العريق، وما ستؤول إليه البلاد من تمزق وضياع ناجم عن حدّة الصّراع.

**ب- سجن و تعذيب الرئيس"بن بلّة":**

يفتتح الرّوائي واسيني الأعرج مذكرات التاريخ السيّاسي ويتناول موضوع حسّاس ومثير جدا يبرز جرأته في التعامل مع القضايا السيّاسيّة وطرحها بكثرة في أعماله الروائيّة.

ويتطرّق الأعرج لقضية سجن الرئيس السابق "أحمد بن بلّة" في زنزانته وتعذيبه من قبل عملاء الرئيس "هواري بومدين"، كما يعرض التفاصيل الحياتيّة له في زنزانته وما تعرض له من قمع وإبادة وإهانة.

ويحاول الرّوائي من خلال الحديث عن تعذيب أول رئيس للجزائر المستقلّة، تقديم رؤيته السيّاسيّة وموقفه المدين لنظام هواري بومدين الذي مارس أقسى عمليات التعذيب الجسديّة والنفسيّة في حق رجل خدم الوطن

وأفنى عمره لاستعادة مجد الجزائر الضائع، فالرئيس "أحمد بن بلّة " كان زعيم ثوري حقيقي بمفهوم اليسار منذ أواخر الأربعينات، بل هو قائد ثوري(نشاط في المنظّمة الخاصّة، نضال القاهرة، السجن الاستعماري) ولا يزال إلى اليوم ينشط ضد العولمة والرّجل بهذه المواصفات والتاريخ المتميّز يجعل خلعه مغامرة."[5]

ويبرز في الرّواية الموقف السيّاسي للرّوائي المعارض لنظام العقيد "هواري بومدين" ومدينا لسياسته التعسفيّة والتي أقبرت الرئيس "بن بلّة" في السجن ثلاثة عشر عاما، وأقصته من التّمتع بالحياة السياسية التي عهدها، لذلك اتخذّ "الأعرج" من شخصيته الكاتب المثقف " يونس مارينا" كأداة لتعرية خفايا السّلطة بعد الاستقلال و منها فضيحة تعذيب الرئيس "أحمد بن بلّة" في الخفاء، وحاول "مارينا" عبر مقالاته وكتاباته الغريبة نقل يوميات الرئيس في السّجن وما لاقاه من ازدراء وتجريح للكرامة وتعذيب قاس، راميا إلى فضح تجاوزات السّلطة الجديدة أمام الجميع حتى ينزع قناع المثالية عن وجوه المسؤولين، وفي مقالة الشّهير "ذئاب العقيد" والذي كان أكثر حدّة وقسوة من سابقيه عرض تفاصيل التعذيب النّفسي والجسدي "لأحمد بن بلّة" في زنزانته، من طرف ذئاب العقيد، وكانت صوره رهيبة ومخيفة جدا، وتبرز مشاهد التعذيب في السيّاق الأتي " نفعل، أن نعريك ونلبسك بلا سبب، نفعل يأمرنا بالعض نعضك، يعطينا إشارة طعنك وسحقك لن نتردد لحظة واحدة، نفعل ذلك بلا أدنى ندم بل ربما بلذة، أن نأكل لحمك ونفتت لحمك ونفتت عظامك، أن نشويك، نقليك، نذيبك في محلول الأسيد، نفعل أيضا ولن نترك أيّة علامة تحيل إليك، لاشيء يمنعنا من ذلك إلاّ أمره، أن نفرمك ونحولك إلى كتلة لحميّة تشبه الكفتة ثم ندفع بك إلى الأسواق ليأكلك الجياع الذين كنت تدافع عنهم ، نفعل ولا نسأل عن البقية....هل تعرف لماذا يا سيدي الرّايس بابانا*؟ "[6]

وبغض النّظر عن صحّة هذه الأحداث والمشاهد التي وظّفها الأعرج في روايته والمرجعيّة التي استند إليها، يمكن القول إن الرّوائي رمى من خلال التطرق إلى موضوع سجن وتعذيب الرئيس الأوّل للجزائر المستقلة أن يقدم رؤيته السياسيّة الرّافضة للسّلطة الجزائريّة عبر الحقب الزمنية، التي تستهدف رموز النّضال والكفاح وتقصيهم من التّمتع بامتيازات الدولة، بل وتضعهم على الهامش وتلغي دورهم الفاعل في النّهوض بالجزائر ورقيّها.

**ج- معارضة السّلطة:**

تعدّ موضوعة السّلطة من الموضوعات التي تستهوي الأعرج في جل أعماله الروائيّة إذ تهين على مساحة واسعة في رواياته ويحاول ولوج مجال السيّاسة للتعبير عن أفكاره وإيديولوجيته باعتباره شخصا مثقفا في المجتمع، ومن خلال تلك الأفكار نستشف علاقة المثقف بالسّلطة حيث " تتحدد هذه العلاقة في محورين متناقضين : محور الانسجام مع رؤية السلطة، وآخر تناقضي معها، يبحث الجميع في الرواية عن بريق السّلطة لأنّ السّلطة هي سلطات متعدّدة وكل واحد يفهم السلطة منطلقا من انتمائه الطبقي ورؤيته السياسية وصفاء وعيه أو ضبابيته

أو استلابه، ولكن تظل معضلة السّلطة والموقف منها الهم الرئيس في الرّواية التي تتفجر منه وعلى ضفافه مشكلات معقدّة أخرى."[7]

وفي رواية "أصابع لوليتا" يبرز موقف السّارد المعارض لنظام "هواري بومدين"، الذي لم يصدّق حقيقة أنّ الانقلاب العسكري قد حدث فعلا وأن الرئيس" بن بلّة" قد عزل من منصبه.

لقد كان مارينا يحبّ الرئيس أحمد بن بلة حبّا شديدا حيث كان صديق والده الشهيد في كفاحه المستميت ضد المستعمر، فهو الوحيد من رجالات السّلطة من واساه ومسح دمعته ونفّس عنه آلامه إثر مصابه الجلل لرحيل والده، ولذلك لم يصدق ما حدث وذهب يعلن عداءه وكرهه للرئيس بومدين،. وسياسته الجديدة التصحيح الثوري الذي ذهب ضحيتها إنسان كان يعظّمه ويمجدّه ويعتبره أسطورة، فعقله لم يتقبّل أيّة ذريعة أو مبرّرات لهذا الهجوم الجبان المباغت :" مع ذلك لم يجد يونس مارينا أيّ مبرّر مقنع ليغفر للعقيد جريمته وانقلابه العسكري ضد الرئيس بابانا، كان عليه أن ينتظر سنوات عديدة وأفول جزء كبير من العمر ليبحث له عن مبرّرات فقط".[8]

وكمبادرة شجاعة من" يونس" الذي امتلأ فؤاده أسى وحزنا لما جرى للرئيس بابانا، مضى طول الليل يلاعب الكلمات لعله يكتب شيئا ينفس عنه ثقل الهموم الجسيمة التي اجتاحته بعد أزمة السلطة التي أحدثها الانقلاب العسكري صيف 1965 فكتب كلمات في لحظة من لحظات يأسه لا يعلم جوهر ما كتب سوى أنه كتب شيئا عرفانا لشخص لطالما أحبه وتعاطف معه ؛ لأنه لمس فيه صورة والده المتوفى ولم يكن مارينا يدري أن ما سيكتبه في لحظة هاربة سيخلق منه فيما بعد صحفيا لامعا، ويشعره بوجوده ويحقق له حلمه الدفين الذي كان يظنه بعيدا كالسّحاب "قضى ليلة دون توقف ولا استراحة يكتب شيئا لم يكن يعرف شكله ولا الزمن الذي يستغرقه، عندما قرأه صديقه لحمر في اليوم التالي قال له سأنشره لك في جريدتنا السريّة التي نشأت مباشرة بعد الانقلاب، حتى عندما أعاد قراءة مقالته لم يجد فيها ما يدهش سوى أنه كتب شيئا أحس في لحظة من اللحظات الهاربة أنه كان متعاطفا مع شخص يشبه والده الذي مات في الثورة."[9]

و لا شكّ أنّ مقالات "يونس مارينا" التي نشرت في الجريدة السريّة من طرف صديقه موسى لحمر وخاصة مقالته الغريبة " الانقلابيون" صنعت منه كاتبا مميّزا يحوز على اهتمام القراء حتى ولو باسم مستعار ولكن في قرارة نفسه يتصارع شعوران متناقضان ؛ شعور بالفرح الشديد من جهة لأنّه حقّق حلم طفولته وكسّر المستحيل، ومن جهة أخرى بالخوف لأنّه تجرّأ على محاربة النظام الجديد ومجاراته "يتذكر بالضبط ما قاله في مقالته الغريبة "الانقلابيون" التي لا يعرف بالضبط إن كان هو كاتبها قبل أن يأخذها منه صديقه موسى لحمر لنشرها في الجريدة السرية أم غيره، عندما جاء بها منشورة شعر "مارينا" بشيء غريب هو مزيج من الخوف والفرح وهو

الذي كان يحلم دائما بأن يكون صحفيّا أو كاتبا يعبر الكرة الأرضية على متن الطائرات العملاقة ، ولكن الأمر بداله دائما بعيد المنال."[10]

ولم يتوقف "يونس" عند هذا الحدّ من الكتابة بل واصل كتابته بحرية عن النظام السياسي السائد يحميه اسمه المستعار من أية محاولة تهديد أو اغتيال، وكان ما يهمّه أن يكتب ضد النظام حتى ولو اخترع أكاذيب وأباطيل، فالحقيقة لم تكن شرطا أو مقياسا يرتكز عليه في الكتابة؛ لأن الناس أغرتهم طريقة كتابته فأحبوا كل ما يكتبه الصحافي (أ.ب) ، ولم يتلق أية ملاحظة أو نقد وهذا ما شحنه أكثر وزاده إصرارا ومنحه حرية أكبر للكتابة دون قيود أو ضغوط، " في مقالته الأخيرة روى طفولة الرئيس وكان كلما عجز عوضّها بطفولته هو، فكر طويلا في كذبته ولكنه سرعان ما استكان لحريته مادام لم يتلق أية ملاحظة ، ثم أن الناس يحبون ما يكتبه الصحفي أ.ب. "[11]

ولم ينل "سلطان حميد سويرتي" اسمه الحقيقي كل هذه الشّهرة وهذا الصّدى قبل استعماله الاسم المستعار يونس مارينا، فكلّ الأسماء قبل هذا الاسم كانت باردة وجوفاء بلا معنى، ولهذا الاسم حادثة فبينما كان "سويرتي" غارقا في نومه رأى حلما غريبا حيث زاره رجل في منامه وناداه بيونس وليد مارينا فارتبط به هذا الاسم ارتباطا روحانيا " فجأة في ليلة من ليالي الخريف الثقيلة، رأى حلما غريبا شخص يلبس الأبيض سمح ووقور وملامح آسيوية قريبة من وجه جده يناديه يونس، يونس، يونس، أهلا بالألف باء، ما تلعبش معاي الكاش كاش، اسمك يونس وليد مارينا."[12]

لقد أحسّ "سويرتي" باتصاله العميق بهذا الاسم وكان لإيقاعه صدى جميل في داخله، فلقد أكسبه هذا الاسم شهرة فائقة فذاع صيته وأصبح أكثر تداولا في المقاهي والمحلات العامة للمدينة من الحرفيين (أ.ب) الذين كان الزوار يجدون عناء في ذكرهما، ومن جهة أخرى نجد في الأخير أن هذا الاسم كان سببا في شقائه وبؤسه وهلاكه.

ولقد دخل "مارينا" غمار لعبة الأسماء المستعارة وتلذذ بسحر اللعبة، ولم يكن يعلم أن هذه اللّعبة نفسها ستقوده نحو نهاية تراجيدية." كان ينزوي مع قهوته الباردة ويضحك في داخله ويتلذّذ بسحر لعبة لم يكن يدرك مخاطرها، وأنّ اللّعبة نفسها التي مازح بها قدرا مجنونا ستنقلب عليه يوما ما، وتسحبه نحو فجيعة كانت أكبر من سنّه."[13]

ونلمس أنّ اسم "يونس مارينا" جعله يتوغل أكثر في جنون اللعبة فأخذ يكتب المقالات الواحدة تلو الأخرى، وبغوص في وقائع وأحداث يبقى العقل البشري مشدودا حول صدقها أو كذبها، لقد كتب عن الرّايس بابانا ومعاناته في السجن وكيف تعامل معه الانقلابيون بطريقة سيئة مهينة ، وأكدّ أيضا أنّهم عزلوه في مكان معزول

كي يقتلوه في صمت بعيدا عن العيون ، ويمارسون سياستهم الإجراميّة القمعيّة، ويحتفلون على إيقاع موته "كتب عن الرّايس بابانا ومعاناته في السجن وكيف تعامل معه الانقلابيون وأكد في مقالته أنهم كانوا يريدون قتله في صمت وعزلة، للعقداء سياسة غريبة في ذلك، يأخذون الشخص ثم يسكتون عنه مثلما يفعل الموت حتى ينساه الناس وبعدها يفعلون ما يشاؤون يمزقونه، يمنحونه هدية للكلاب...يأكلون لحمه..."[14]

وواصل مارينا كتابة مقالاته في ديمومة متواصلة لذيذة، فهو حين يكتب يشعر بسعادة غامرة تختلجه حتى قبل أن يترجم أفكاره على الورق لكن لم يدرك تمام الإدراك أن مقالاته ستضعه في القائمة السوداء المطالب باستباحة دمهم، وهنا إحالة إلى مأساة المثقفين في الجزائر وخاصّة سنوات العشريّة السوداء في الجزائر، ومحنة الصحفيين والكتاب خاصة والذين اكتووا بنارها " وعاشوا الخوف والقلق والألم والهواجس والحسرة، وفقدوا بعضا من أهلهم وأصدقائهم وأحبابهم وزملائهم في العمل ، وكتبوا عن ذلك بمشاعر صادقة وقلوب يعتصرها الحزن، يحاولون فهم ما حدث أكثر مما يحاولوا أن يظهروا بمظهر الإله العارف بكل شيء حسب تعبير المصطلح النقدي المعروف في دراسة السّرد الروائي."[15]

ولقد نشرت السّلطات في كل مكان إعلانات تطالب فيها كل من عرف" يونس مارينا" أو رآه أن يتصل بها في سريّة تامّة ، من أجل تحرير الوطن الذي لم ينعم بزهو استقلاله بسبب أمثال هذا الخائن الذين مازالوا يبثون فيه الفساد والدّمار، ويغتصبون سعادته وأحلامه وتطلّعاته في غد آمن، فالدولة لن تتساهل مع هؤلاء الخونة وستعاقبهم أشدّ عقاب حتى يكونوا عبرة لأمثالهم ،وهنا يشير الراوي إلى مساعي الدولة الحثيثة للبحث عن الخونة إبان الاستعمار الفرنسي، ومن ضمنهم الحركي والمتعاملين مع الإدارة الفرنسية والذين يبيعون ذممهم للمستعمر.

**د- قضيّة الإرهاب:**

يتطرق الرّوائي "واسيني الأعرج " في رواية "أصابع لوليتا" للحديث عن قضيّة حسّاسة وخطيرة جدا وهي الإرهاب وتجربته الشخصيّة معه، وهذه ليست المرة الأولى التي يتناول فيها هذا الموضوع الحسّاس؛ بل إنّ أغلب تجاربه الإبداعية تمحورت حوله وخاصّة " رواية شرفات بحر الشمال والتي انعكست فيها تجربته الشخصية مع الإرهاب ،إضافة إلى روايته ذاكرة الماء والتي صور فيها جانبا من حياة القلق والخوف التي كان يعاني منها البطل، وتنقله المستمر من مكان إلى مكان وهو يتوقع أن تأتيه في أية لحظة وفي أي مكان رصاصة قاتلة، أو طعنة غادرة في الظهرمن أو أعلى يمينه."[16]

لقد عرضت الرّواية جانبا من علاقة الراوي بالإرهاب أو حراس النوايا كما يسميهم الأعرج والتي تتميز بالتصادم والتوتر، ورصدت محنته القاسية معه.

ولمّا نقرأ الرواية نرى في صورة البطل "يونس مارينا" الروائي "واسيني الأعرج" وصراعه المستميت مع الإرهاب ، وكشفت عن التهديدات الغامضة التي كانت تلاحق الكاتب وأصبحت هاجسا ينغص عليه حياته خاصة وأن خطر الاغتيال صار يتربّص به من طرف الجماعات الإرهابيّة التي تراقب تحركاته عن كثب، مما أدخله دوامة من التفكير والشعور بالقلق والخوف والألم بالرغم من حماية المخابرات الأوروبية له كان أكثر المهدّدين من غيره."الأخطر من هذا كله يا ماري، أن مارينا في الدائرة التّهديدية الضيقة، على العكس من بقية المهدّدين علينا أن نضاعف من حذرنا لأن المسألة تشبه انتظار صحراء التتر، نحن في وضعية من ينتظر هجوما قاسيا لا يأتي، ويوم يأتي نكون قد أصبنا بحالة إرهاق شديد."[17]

والأكيد أنّ سبب هذا الهجوم الشّرس والقاسي على الكاتب كان مردّه روايته "عرش الشيطان" التي بقدر ماحققت له الشهرة الفائقة فذاع صيته في سماء إبداع أوروبا بقدر ما أدخلته الدائرة الضيقة للجماعات الإرهابية المطالبة باستباحة دمه، ولم يكن "مارينا" ينتظر أن تدخله الرواية هذه المتاهة التي لم يدرك السبيل الذي ينتشله منها، فكأنّها كانت وثيقة تدينه للحكم على نفسه بالإعدام لأنّ ماكتب فيها يشوّه صورة الإسلام أمام العالم ، إضافة إلى أنها تسيء للقيّم وترمي إلى الانحلال الأخلاقي، فكانت إذن هذه الرواية السبب الظاهر في مأساته وأصبح "يونس مارينا" معادلا موضوعيا "لسلمان رشدي" الروائي البريطاني ذي الأصل الهندي صاحب رواية "آيات شيطانية" المسيئة للإسلام والتي أثارت قضيّة في الإعلام الأوروبي، "وتسببت في خلق جدال في المفاهيم بين الإسلام والغرب، في حين كان الدّافع الرئيسي في الغرب يقوم على إحقاق ما وصف بحرية التعبير، في حين كان الدافع الرئيسي تعامل مع القضية من وجهة نظر أخرى مختلفة تماما ذلك؛ لأن الرواية كانت تتعرض لشخص نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلّم."[18]

فمأساة "مارينا" ناجمة عن كتاباته الجريئة والمسيئة للمقدس "ما قلناه لم يكن كلاما عاما، ولكنه كان حقيقة يجب التنبه لمخاطرها اسمعوا ماذا تقول هذه الوثيقة المرتبطة بمارينا عندما كتب عرش الشيطان، حكم على نفسه بنفسه، ثم إنّ الحكم عليه جاء لعمالته، إضافة إلى كتاباته التي تعمل على إفساد أخلاق الناس، السم في الدسم، مارينا بعمله هذا كان أسوأ من سلمان رشدي، الأمير أعطى الأمر باختطافه أو قتله أو مجازاة كل من يقوم بذلك، لأنّ قتل الكافر من أمر الله."[19]

ونلمس أنّ الأعمال المسيئة للإسلام تتعدى مجال الرّواية، وقد كثرت هذه الأيّام لكثرة الوسائل الإعلامية ونجد " الكثير من البرامج والأفلام وحتى أفلام الكارتون تصبّ مباشرة في تشويه صورة المسلمين، نذكر منها فيلم "سيف الإسلام" وهو فيلم بريطاني تسجيلي أذاعه التلفزيون الحكومي، يظهر المسلمين بشكل متخلّف وغير حضاري،

وفيلم "علاء الذين" وهو فيلم رسوم متحركة للأطفال من إنتاج شبكة "والت ديزني" يظهر المسلمين على أنهم يعيشون من أجل المتعة الجسدية، وأنّ الإسلام يعني عصر الحريم."[20]

ونجد أيضا أنّ رسوم الكاريكاتير هي الأخرى تم استغلالها في التّوجه نفسه القائم على تشويه صورة العرب والمسلمين" وكم هو عدد الرسوم التي تم تقديم المسلم من خلالها على أنه متطرف أو إرهابي أو متوحش، كما جاء في هذه الصّور الكاريكاتورية من حيث الشكل والمضمون فيصبح الإسلام من خلال هذه الرسوم مقترنا بالإرهاب والتّخلف والوحشيّة"[21]

كما تطرّق السّارد أيضا للقضيّة التي أثارت الكثير من التساؤلات عن حقيقتها وصدقها وهي إلصاق الغرب تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين ، ومحاولة إظهار العالم الإسلامي أمام الرأي العام متهمّا وسبب كل الاعتداءات الإرهابية التي تحدث في العالم وذلك من أجل ترسيخ فكرة في أذهان النّاس بأن هناك علاقة وطيدة بين الإسلام والإرهاب، وهذا لتبرئة العالم الغربي من أي تهمة وتجميل صورته من جهة، ولممارسة عنصريّة ضد المسلمين المقيمين بالأراضي الأوروبية.

لقد كشفت الرّواية عن الوجه الآخر للعالم الأوروبي الذي يكن مشاعر الضغينة للمسلمين فلا تخلو محادثاتهم وحواراتهم من سب المسلمين واتهامهم بأنهم سبب الحروب والكوارث والخراب الذي حل بهم وبأن المسلمين هم الذين صدروا الإرهاب للغرب وكونوا جماعات شريرة هدفها نشر الرعب والهلع والذعر في نفوس الناس وسرقة هدوئهم وراحة بالهم، ولعل الهجمات الإرهابية على الغرب حادثة 11 سبتمبر 2001 الشهيرة، خير دليل على ذلك فكانت مناسبة جديدة لأن تعبّر العديد من وسائل الإعلام الغربية سمعية، بصرية أو مقروءة لكي تفرغ " ذلك المكبوت من أجل تفعيل تشويه الإسلام، فقد كانت هذه الأحداث فرصة مواتيّة أيضا لبعض السيّاسيين الغربيين والدينيين لكي يمرّروا خطاب العنصرية والاستعلاء وهذا ما جاء في تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، والتي أثارت جدلا شديدا عندما استخدم عبارات مثل الحروب الصليبية التي أعادت للذاكرة ذكريات المواجهة بين الإسلام والمسيحيّة"[22]

إنّ الحملة الشرسة وغير المؤسّسة للغرب ضد المسلمين تبرز النوايا الشريرة للغرب ونظرته التي كلها ازدراء واحتقار واستصغار للآخر المسلم وخاصة حملة الفرنسيين ضد بلدان المغرب الإسلامي منها الجزائر وترى أنّها سبب مصائبها، وبأنّ التهديدات الإرهابية على الأراضي الفرنسية مصدرها الحقيقي هي القاعدة في المغرب الإسلامي، والذي صار هذا الارهاب وباء ينخر دولة فرنسا ويهدّد سلامة شعبها وأمنها. لقد اعتبروا أنّ غالبية الجماعات الإرهابية " ينشطها إسلاميون يعدّون " بائعي أمن اجتماعي"، وتضم بين أعضاءها شبابا فرنسيين ذوي أصول مغاربيّة والكثير من الشباب الفرنسي المعتنق للإسلام الحديث ."[23]

إنّ هذا الهجوم الحاد للفرنسيين على المغاربة سببه الباطن والخفي الكره الشديد لهم باعتبارهم مستوطنين اكتسحوا فرنسا وصاروا ينتمون إليها ويحملون الجنسية الفرنسية، إضافة إلى ديانتهم الإسلامية فصاروا ينظرون إليهم على أنّهم خلايا نائمة تشكل خطرا يهدّدهم ويعصف بحياتهم" التهديد يأتي من ثلاث أطراف المسلم الذي يتطرق ويريد أن يقوم بفعله وحده، القاعدة في المغرب العربي الإسلامي، لاكمي التي أرسلت الكومندوس إلى فرنسا للقيام بعمليات انتحارية و إرهابيّة من بينهم نساء كثيرات لأنهن أكثر اختراقا للمنافذ الضيقة."[24]

ويمكن الإشارة هنا إلى ظاهرة الحجاب في فرنسا والتي اعتبرت كشكل من أشكال الارهاب فقد أثارت قضيّة في الإعلام الفرنسي " فلقد عنونت مجلة الاكسبريس الملف المخصص لقضية الحجاب بالفخ الديني وتضمن الملف مالا يقل عن 07 مقالات، إضافة إلى حوار مطول مع وزير التربية الوطنية آنذاك ليونيل جوسبان، ومن ضمن عناوين المقالات نقرأ مثلا " البرقية المشفرة للخمار "بقلم جان دانيال، "بيوت اللّا تسامح" بقلم جاك جوليار، " المدرسة أو الفخ الديني" بقلم إليزابيث شيملا،" نساء محجبات نساء مقهورات بقلم السيّاسيّة الفرنسية فرانسواز جيرو."[25]

وفي دراسة علميّة حول صورة الإسلام في الإذاعات الأجنبية كشفت الدراسة أنّ إذاعة أمريكا تستخدم أداة الإساءة إلى الدّول العربيّة والإسلاميّة التي لا ترتبط مع الولايات المتحدة الأمريكيّة بعلاقة طيبّة منها إيران، " ولقد أدّت هذه الوسائل دورا بارزا في تقديم صورة تتسّم بالسلبيّة للدول العربيّة الإسلاميّة مثل اتهامهم أنّهم سبب المعارك والحروب والانقلابات العسكريّة والاغتيالات السياسيّة والكوارث والأزمات الاقتصاديّة ، ومحاولة إبرازهم بصورة مدّنسة، وبأنّهم قتلى وسفّاحون ينشرون العدوان والخراب في الأرض. "ويتابع النّاس اليوم موقف الولايات المتحدة الأمريكيّة من هذا الحدث، ومن جهة أخرى يلاحظون أنّ هناك محاولات لتكوين فكرة لا شعوريّة لدى النّاس بأن هناك قرابة بين الإسلام والإرهاب، حيث يكثر بعض الإعلاميين من ذكر هاتين الكلمتين مقترنتين باستمرار، وهذه المحاولة من أجل اقتران الإسلام الذي هو أساس السّعادة والأمان بالإرهاب قد أدت المسلمين في العالم كله. "[26]

**خاتمة:**

في الأخير نستخلص أهّم النتائج:

- ارتبطت الكتابة الأدبية السياسية التي تجلت في روايات الأعرج بمنظور جديد، حيث تميزت تجربته بامتلاكه حرية مواجهة القضايا السياسية بجرأة، وصياغة الموقف النقدي المعارض للسلطة، والمدين للمتهافت من أشكالها التعسفية، فهو لا يكتب عنها في أعماله من أجل استحضارها فقط بل من أجل البحث كذلك عن

موضوعات لغوية جمالية من جهة، ومن جهة أخرى يطرح القضايا السياسية لمعالجة قضايا الراهن الجزائري خاصة، والعربي عامة.

- يستثمر واسيني الأعرج التاريخ السياسي في روايته "أصابع لوليتا" من أجل صياغة الواقع الجزائري المعاصر وإشكالاته وقضاياه، حيث يتجاوز الروائي الوثيقة التاريخية من جديد ليعيد صياغة الحدث التاريخي في قالب أدبي إبداعي، لكشف عنف الواقع السياسي وإظهار خفاياه، وتعرية المستور، والّتصريح بالمسكوت عنه، حيث يحاول فضح تجاوزات وتسابق المسؤولين على كرسي السلطة رغم فشلهم السيّاسي.

- كما يتطرّق الرّوائي إلى قضية الإرهاب ، والتي كانت محورا لأغلب أعماله الروائية ، وفي روايته "أصابع لوليتا" يعرض الأعرج تجربته الشخصيّة معه ،إضافة إلى تطرّقه إلى علاقة العالم العربي بالعالم الغربي ، هذا الأخير الذي يكن مشاعر الكراهية والازدراء للعرب و المسلمين بسبب اتهامه لهم بأنّهم مصدر الإرهاب في العالم.

**الإحالات و الهوامش:**

* **الروائي الجزائري واسيني الأعرج** : مواليد 8-8-1954 بتلمسان، الجزائر، بروفسور بجامعة السوربون، باريس، وجامعة الجزائر المركزية، يعدّ من كتّاب الرّواية الجزائريّة الجديدة من أبرز أعماله " كتاب الأمير"، " رمل الماية"، " نوّار اللّوز"، "وقع الأحذية الخشنة"، " أنثى السّراب"، " الكريماتوريوم " شرفات بحر الشّمال"، " ضمير الغائب" و آخر إصدار له رواية "مملكة الفراشة" عام 2014.

1-: WWW.biskra.dz/Lab/LLa/PDF/bahri/bbf

2- فاضل ثامر:المقموع و المسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، دمشق، ط1، 2004، ص11

3- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، دار النشر رجعي، الجزائر، د. ط، 2009، ص 564.

4- واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، الفضاء الحرّ، الجزائر، ط1، 2012، ص 85.

* بابانا: الاسم الشّعبي للرئيس أحمد بن بلّة.

-5 حركة 19 جوان 1965 بالجزائر تصحيح ثوري أم انقلاب دموي؟ بقلم ربيع بشاتي، تاريخ النّشر 19-06-2007.

http : // pulpit . alwatanvoice. com /articles 93544. Html.

6- واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، ص 100.

7- أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص 275.

8- المصدر نفسه، ص34.

9- المصدر نفسه، ص86.

10- المصدر نفسه، ص86.

11- المصدر نفسه، ص89.

12- المصدر نفسه، ص90.

13- المصدر نفسه، ص92.

14- المصدر نفسه، ص99.

15- أحمد منور: ثقافة الأزمة مقالات، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، ط1، 2009، ص6.

16- المرجع نفسه، ص39.

17- واسني الأعرج: ص ص320-321.

18- محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008، ص 29.

19- واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، ص322.

20- محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص 130.

21- المرجع نفسه، ص131.

22- المرجع نفسه، ص88.

23- المرجع نفسه، ص61

24- واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، ص331

25- محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص 38

26- كمال الدين أوزدير: الإرهاب من نظرة الأديان الإلهية، مجلة الصّراط، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية للبحوث و الدّراسات، الجزائر، العدد السابع عشر، ص98.

قائمة المصادر و المراجع:

أ- المصادر:

1- واسيني الأعرج: أصابع لوليتا، الفضاء الحرّ، الجزائر، ط1، 2012.

**ب المراجع:**

1- أحمد منور: ثقافة الأزمة مقالات، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي و الثقافي، الجزائر، ط1، 2009.

2- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، دار النشر رجعي، الجزائر، دط، 2009.

3- فاضل ثامر:المقموع و المسكوت عنه في السرد العربي، دمشق، دار المدى، ط1 ، 2004.

4- محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008.

**د- المجلّات:**

1- كمال الدين أوزدير: الإرهاب من نظرة الأديان الإلهية، مجلة الصّراط، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية للبحوث و الدّراسات، الجزائر، العدد السابع عشر.

**هـ- الأنترنيت:**

حركة 19 جوان 1965 بالجزائر تصحيح ثوري أم انقلاب دموي؟ بقلم ربيع بشاتي، تاريخ النّشر 19-06-2007.

http : // pulpit . alwatanvoice. com /articles 93544. Html.